كتاب

المورد العذب الزلال

في كشف شبه أهل الضلال

تأليف

شيخنا وامامنا ، ناصر السنة ، وقامع البدعة

الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

أجزل الله لهم الاجر والثواب آمين

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

وقد وقفه على من ينتفع به من أهل العلم والدين

لايحل لمن وقع بيده بيعه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله معز الاسلام بنصره ، ومذل الشرك بقهره ، ومصرف الامور بأمره، ومستدرج العاصين بمكره ، الذي أظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يمانع ، الظاهر على خلقه فلا ينازع، الحكيم فيما يريد فلا يدافع

أحمده على إعزازه لأوليائه، ونصرته لأنصاره وخفضه لأعدائه. حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره . وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد شهادة من طهر بالتوحيد قلبه، وأرضى بالمعاداة فيه والموالاة ربه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رافع الشك وخافض الشرك ، وقامع الكذب والافك ، اللهم صل على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً

(وبعد) فاعلم أيها الطالب للسلامة، الساعي في أسباب تحصيل الفوز والكرامة ، أني وقفت على رسالة لمن لم يسم نفسه، مشعرة بأنه من بلاد الخرْج [1] متضمنة لأنواع من الكذب والمرج، جامعة لأمور من الباطل لا يسع مسلماً السكوت عليها خشية أن يفتن بها بعض الجاهلين فيعتمد عليها ، فان كل عصر لا يخلو من قائل بلا علم ، ومتكلم بغير إصابة ولا فهم

وقد جعل الله في كل زمان فترة ، بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويبصرون بدين الله أهل العمى ، ويحيون بكتاب الله الموتى ، فكم من قتيل لابليس قد أحيوه ، وتائه ضال قد هدوه ، فما احسن اثرهم على الناس وما اقبح اثر الناس عليهم

---

(١) في بلاد نجد

وقد عنّ لي الجواب ، لتميز الخطأ من الصواب ، فلابد من ذكر مقدمة نافعة لتكون هي المقصودة بالذات رجاء أن تكون سبباً موصلا إلى رضوان الله ، يستبصر بها طالب الهدى من عباد الله، وذلك بتوفيق الله الذي لا إله سواه، ولا حول ولا قوة إلا بالله

اعلم أيها المنصف أن دين الله القويم، وصراطه المستقيم، انما يتبين بمعرفة امور ثلاثة هي مدار دين الاسلام ، وبها يتم العمل بأدلة الشريعة والاحكام ، ومتى اختلت وتلاشت وقع الخلل في ذلك النظام

(الامر الاول) أن تعلم أن أصل دين الاسلام وأساسه، وعماد الايمان ورأسه، هو توحيد الله تعالى الذي بعث به المرسلين، وأنزل به كتابه المحكم المبين، قال تعالى (الر * كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير * أن لا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير) وهذا هو مضمون شهادة ان لا اله الا الله . فان أصل دين الاسلام ان لا يعبد الا الاله وان لا يعبد الله إلا بما شرع، لا بالاهواء والبدع

وقد قال شيخنا رحمه الله تعالى إمام الدعوة الاسلامية ، والداعي الى الملة الحنيفية : اصل دين الاسلام وقاعدته امران: الامر بعبادة الله وحده والتحريض على ذلك والموالاة فيه، وتكفير من تركه. والنهي عن الشرك بالله في عبادته والتغليظ فيه والمعاداة فيه وتكفير من فعله . والمخالف في ذلك انواع ذكرها رحمه الله تعالى

وهذا التوحيد له اركان وفروع ومقتضيات وفرائض ولوازم لا يحصل الاسلام الحقيقي على الكمال والتمام الا بالقيام بها علما وعملا . وله نواقض ومبطلات تنافي ذلك التوحيد

فمن اعظمها امور ثلاثة (الاول) الشرك بالله في عبادته كدعوة غير الله ، ورجائه والاستعانة به والاستغاثة به والتوكل عليه ونحو ذلك من انواع العبادة، فمن صرف منها شيئاً لغير الله كفر ولم يصح له عمل . وهذا الشرك هو أعظم

محبطات الاعمال كما قال تعالى (ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) وقوله (ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)

ففي هذه الآية نفي الشرك وتغليظه والامر بعبادة الله وحده . ومعنى قوله (بل الله فاعبد) اي لاغيره ، فان تقديم المعمول يفيد الحصر عند العلماء قديماً وحديثا

(الامر الثاني من النواقض) انشراح الصدر لمن اشرك بالله وموادة اعداء الله[1] كما قال تعالى (ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) الآية الى قوله (ان الله لا يهدي القوم الكافرين) فمن فعل ذلك فقد ابطل توحيده ولو لم يفعل الشرك بنفسه . قال الله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) الآية

قال شيخ الاسلام : اخبر سبحانه انه لا يوجد مؤمن يواد كافرا فمن واده فليس بمؤمن . قال : والمشابهة مظنة الموادة فتكون محرمة

قال العماد ابن كثير في تفسيره: قيل نزلت في ابي عبيدة حين قتل اباه يوم بدر (أو ابناءهم) في الصديق يومئذ هم بقتل ابنه عبدالرحمن (او اخوانهم) في مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير (اوعشيرتهم) في عمر قتل قريباً له يومئذ ايضا ، وحمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ

قال : وفي قوله (رضي الله عنهم ورضوا عنه) سر بديع وهو انهم لما

---

(١) أي موادتهم وانشراح الصدر لهم لاجل شركهم وعداوتهم لان تعليق الحكم على المشتق يدل على انه علة له كما قالوه في آية حد السارق ، ولذلك استدل هنا بآية (ولكن من شرح بالكفر صدراً) الخ ولا يدخل في ذلك الصحبة بالمعروف لاجل القرابة ونحوها مع كراهة الكفر نفسه لقوله تعالى في الوالدين المشركين (وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا) الآية

سخطوا على القرائب والعشائر في الله عوضهم الله بالرضا عنهم ورضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم ، والفوز العظيم ، والفضل العميم ، ونوه بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدنيا والآخرة في مقابلة ماذكر عن اولئك من انهم حزب الشيطان (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون)

(الامر الثالث) موالاة المشرك والركون اليه ونصرته واعانته باليد او اللسان او المال كما قال تعالى (ولا تكونن ظهيراً للكافرين)وقال (رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين) وقال (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون) وهذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين في هذه الامة . فانظر ايها السامع أين تقع من هذا الخطاب وحكم هذه الآيات

ولما أعانت قريش بني بكر على خزاعة سراً وقد دخلوا في صلح رسول الله ﷺ انتقض عهدهم وغضب رسول الله ﷺ لذلك غضبا شديداً ، وتجهز لحربهم. ولم ينبذ اليهم لما كتب لهم حاطب كتابا يخبرهم بذلك إخباراً أنزل الله تعالى في ذلك هذه السورة بكمالها ، ابتدأها بقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة – الى قوله – ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل)

ثم أمر تعالى بالتأسي بخليله عليه السلام واخوانه من المرسلين بالعمل بدينه الذي بعثهم به فقال (قد كان لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه) اي من اخوانه المرسلين (اذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده)

فذكر اموراً خمسة لايقوم التوحيد إلا بها علما وعملا ، وعند القيام بهذه الخمسة ميز الله الناس لما ابتلاهم بعدوهم كما قال تعالى (الم *أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لايفتنون*ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا

وليعلمن الكاذبين) وحذر تعالى عباده عن توليهم عدوهم . قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين)

وقال تعالى (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما*الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا) الآية

وقال تعالى (ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئسما قدمت لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون*ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون)

فتأمل في هذه الآيات وما رتب الله سبحانه وتعالى على هذا العمل من سخطه والخلود في عذابه، وسلب الايمان وغير ذلك

وذكر ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسير سورة آل عمران عند قوله تعالى (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) انه ردة عن الاسلام . وفي سورة محمد ﷺ مايدل على ذلك قال الله تعالى (ان الذين ارتدوا على أدبارهم — الى قوله — ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا مانزل الله سنطيعكم في بعض الامر) والسين حرف تنفيس تفيد استقبال الفعل فدل على انهم وعدوهم ذلك سراً بدليل قوله تعالى(والله يعلم اسرارهم*فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم* ذلك بأنهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه) والآيات في هذا المعنى كثيرة

والمقصود بيان عظم هذا الذنب عند الله وما رتب عليه من العقوبات عاجلا وآجلا. نسأل الله الثبات على الاسلام والايمان ، ونعوذ بالله من الخيبة والخذلان.

وقد ذكر شيخنا رحمه الله تعالى في مختصر السيرة له: ذكر الواقدي ان خالد ابن الوليد لما قدم العارض قدم ماثتي فارس فأخذوا مجّاعة بن مرارة في ثلاثة عشر رجلا من قومه بني حنيفة ، فقال لهم خالد بن الوليد : ماتقولون في صاحبكم ؟ فشهدوا انه رسول الله ، فضرب أعناقهم حتى اذا بقي سارية بن عامر قال :

يا خالد إن كنت تريد بأهل اليمامة خيراً او شراً فاستبق مجاعة وكان شريفاً فلم يقتله وترك سارية أيضاً ،فأمر بهما فاوثقا في مجامع من حديد، فكان يدعو مجاعة وهو كذلك فيتحدث معه وهو يظن ان خالداً يقتله ، فقال يا ابن المغيرة إن لي اسلاما والله ما كفرت ، فقال خالد: ان بين القتل والترك منزلة وهي الحبس حتى يقضي الله في أمرنا ماهو قاض، ودفعه إلى أم متمم زوجته وأمرها ان تحسن اساره، فظن مجاعة ان خالداً يريد حبسه ليخبره عن عدوه ، وقال: يا خالد قد علمت أني قدمت على رسول الله ﷺ فبايعته على الاسلام وانا اليوم على ما كنت عليه بالامس، فان يك كذاب قد خرج فينا فان الله يقول (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فقال: يا مجاعة تركت اليوم ما كنت عليه أمس، وكان رضاك بأمر هذا الكذاب وسكوتك عنه وأنت من أعز أهل اليمامة ـ اقراراً له ورضاء بما جاء به، فهل أبديت عذراً فتكلمت فيمن تكلم؟ فقد تكلم نمامة فرد وأنكر ، وتكلم اليشكري، فان قلت أخاف قومي فهلا عمدت إلي او بعثت إلي رسولا ؟

فتأمل كيف جعل خالد سكوت مجاعة رضى بما جاء به مسيلمة واقراراً، فأين هذا ممن أظهر الرضاء وظاهر وأعان وجد وشمر مع أولئك الذين أشركوا مع الله في عبادته وأفسدوا في أرضه؟ فلله المستعان

(الامر الثاني) من الامور التي لايصلح الاسلام إلا بها العمل بشرائعه وأحكامه ، وبالقيام بذلك يقوم الدين وتستقيم الاعمال كما قال تعالى (ولو انهم فعلوا مايوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً) الآية ، وقال تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً * يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ، فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا) وقال تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله) الآية ، وقال تعالى (وما كان لمؤمن ولا

مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) وقال تعالى (واذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون * وإن يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين * أفي قلوبهم ام ارتابوا ؟ أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله؟ بل أولئك هم الظالمون) وقال تعالى (فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم) الآية ، وقال تعالى (أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا * أم تحسب ان أكثرهم يسمعون او يعقلون؟ إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا) وفي هذا المعنى قال أبو تمام :

وعبادة الاهواء في تطويحها بالدين مثل عبادة الاوثان

هذا هو الغالب على كثير من الناس: رد الحق لمخالفة الهوى ومعارضته بالآراء وهذا من نقص الدين وضعف الايمان واليقين

(الامر الثالث) أداء الامانات واجتناب المحرمات والشهوات ، والجد في أداء الفرائض والعبادات الواجبات ، والقيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكرات . وقد وقع الخلل العظيم في ذلك كما قال تعالى (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً) الآية ، وبذلك وقعت الغفلة والاعراض عن كتاب الله تعالى ، واشتغل أكثر الناس بدنياهم عن طاعة مولاهم ، وزهدوا في كل ما يعود نفعه اليهم في دنياهم وأخراهم مما يوجب رضا ربهم ومولاهم

فيجب على من نصح نفسه ممن جعل الله له القدرة والسلطان ونفوذ الكلمة أن يهتم بحفظ هذه الثغور الثلاثة ، فانها ثغور الاسلام ، وقد سعى في خرابها من ليس من أهلها

ومن أسباب حفظها الاخلاص لله والصدق واللجأ اليه وتعظيم امره ونهيه والتوكل عليه وتمييز الخبيث من الطيب . فان الله تعالى ميزهم لعباده لما ابتلاهم فعليك ببغض اعداء الله والاهتمام بما يرضيه ومحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه ، وخشيته ومراقبته ، والله المستعان

فصل

في الاشارة الى ما تضمنته لا إله الا الله من نفي الشرك وإبطاله ، وتجريد التوحيد لله تعالى، والاشارة الى بعض ما تنتقض به عرى الدين الذي بعث الله به المرسلين والباعث لذلك ما بلغني عن رجل كان قبل طروق الفتن يغلو في التكفير ويكفر بأشياء لم يكفر بها احد من اهل العلم ثم انه بعد ذلك قال : من قال لا إله الا الله فهو المسلم المعصوم ، وإن قال ما قال

فأقول وبالله التوفيق: اعلم ان لا إله الا الله كلمة الاسلام، ومفتاح دار السلام . وقد سماها الله تعالى كلمة التقوى والعروة الوثقى وهي كلمة الاخلاص التي جعلها ابراهيم الخليل عليه السلام كلمة باقية في عقبه . ومضمونها نفي الالهية عما سوى الله واخلاص العبادة بجميع أفرادها لله وحده كما قال تعالى (واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون* الا الذي فطرني فانه سيهدين) وقال عن يوسف عليه السلام (واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء) وقال بعدها (إن الحكم الا لله أمر أن لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وقال تعالى لخاتم رسله (قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به)الآية وقال (ان لا تعبدوا الا الله) وقال (ان إلهكم لواحد * رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق)

وقد تفاوت الناس في هذه الكلمة بحسب حالهم علماً وعملا، فمنهم من يقولها وهو يجهل مدلولها ومقتضاها ، فلا يعرف الاله المنفي باداة النفي، ولا الالهية المثبتة لله تعالى ، فهذا لا تنفعه بلاريب . تجده يأتي بما يناقضها وهو لا يدري

واعلم أن لها شروطا ثقالا (منها) العلم بمدلولها ومقتضاها وحقوقها ولوازمها ومكملاتها . ومن شروطها الصدق واليقين وإرادة وجه الله والكفر بما يعبد من

دون الله كما قال تعالى (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) قال ابن جرير : يعلمون حقيقة ما شهدوا به . وقال (فاعلم أنه لا إله الا الله) وصحت الاحاديث عن النبي ﷺ بذكر هذه الشروط كلها ، ومن لم يكن كذلك لم تنفعه لا إله الا الله ، لان القول بلا علم هباء

قال شيخ الاسلام : ومن فقد الدليل ، ضل السبيل

وكذلك من يقولها وهو لا يجهل مضمونها ومقتضاها ، لكن يمنعه من قصد ذلك واتباع الحق والعمل به موانع من آفات النفوس ، فتجده ينكر التوحيد تارة ويبغض اهله ويحب الشرك واهله ، كحال الذين قالوا (نشهد انك لرسول الله) قال الله تعالى (والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) فلو ان مجرد القول ينفع بدون الاخلاص والصدق واليقين القلبي لنفع هؤلاء ، فكذلك من يقول ظانا انه أتى بمضمونها ومقتضاها، ويأتي بما يناقضها من موالاة المشركين ومظاهرتهم على المسلمين والاستبشار بنصرهم وظهورهم وغير ذلك من الامور التي عدها العلماء من نواقض الاسلام ، قال الله تعالى (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم) الآية ، وقال تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين * ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين) ومعنى: وادع الى ربك اي الى توحيده واتباع امره وترك نهيه ثم قال(ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه)

فذكر اموراً اربعة كلها تنافي قول لا إله إلا الله. يحقق ذلك نهي الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاة أعدائه في أول سورة الممتحنة وفي غيرها وقال (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل)

وتدبر تلك الآيات وما رتب الله تعالى من الوعيد الاكيد والعذاب الشديد

ونفي الايمان وحبوط الاعمال على هذه الامور التي لا يعدها من وقعت منه كبير ذنب فانا لله وإنا اليه راجعون .

وبالجملة فلو بقي لهؤلاء دين مع ذلك لسلموا من العقوبات لان الايمان أمن والاسلام سلامة كما قال تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) فان تدارك الله من شاء منهم بتوبة نصوح فهو فضله سبحانه وإلا فياخسرهم .

وقد بين الله تعالى في كتابه كثيرا من نواقض الاسلام والايمان فان سبب نزول قوله تعالى (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) أن أناساً كانوا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك يجاهدون عدوه فنال رجل منهم: مارأينا مثل قرائنا هؤلاء، ارحب بطونا وأكذب ألسنة ، وأجبن عند اللقاء . فأنزل الله هذه الآية. والقصة مشهورة في التفسير وكتب الحديث

فانظر كيف أبطلوا إيمانهم وكفروا بربهم ، فلم ينفعهم قول لا إله إلا الله ولا صلاتهم ولا جهادهم مع رسول الله ﷺ]

وقال تعالى (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) نزلت على ماذكره المفسرون في الجلاس بن عمرو ، قال : إن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير ، ولو يقولها أحد في زماننا هذا لم يعد كافراً ولا عاصيا . ولا ريب أن هؤلاء كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ، ويصلون ويزكون ويجاهدون ولم يظاهروا على المسلمين عدواً .

وكذلك أهل مسجد الضرار كانوا من جملة الانصار وفعلوا ماهو في الظاهر قربة ، فلما أضمروا خلاف ماأظهروا أنزل الله في شأنهم (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقا بين المؤمنين وارصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل) وهو ابو عامر الفاسق قال الله تعالى (وليحلفن ان اردنا إلا الحسنى

والله يشهد انهم لكاذبون — إلى قوله تعالى — لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا ان تقطع قلوبهم) اي بالموت .

أيظن من عرف موقع كتاب الله وآياته انه ينفع من أحب المشركين قول يقوله او عمل يعمله؟ وهو يعلم ماوقع بهؤلاء من عقوبة الله على ماأسروه ؟ هذا لا يظنه من له مسكة من عقل لان ما كلف به عوقب به من بعدهم على مثل ماعوقبوا به بلا ريب اللهم، إلا ان يتدارك الله تعالى من شاء بتوبة ماحية والا فالخطر عظيم .

وكذلك قوله تعالى (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه) وسبب نزولها ومن نزلت فيه معروف في كتب التفسير

ومن زعم ان المراد من لا إله إلا الله مجرد القول فقد خالف ما جاءت به الرسل والانبياء من دين الله واتبع غير سبيل المؤمنين ، قال الله تعالى عن نوح عليه السلام انه قال لقومه (أني لكم نذير مبين * ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون) فاجابوه بقولهم (لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا) الآية. علموا على كفرهم وضلالهم انه لم يرد منهم مجرد الاقرار ، وانما أراد منهم الاتباع والعمل وترك عبادة الاصنام ، واخبر تعالى عن هود عليه السلام انه قال لقومه (ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون) وذكر تعالى عنهم في جوابهم له (اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) علموا انه أراد منهم قصر العبادة على الله وترك عبادة من سوى الله ، وهذا هو مضمون لا اله إلا الله ومعناها .

ولما دعا الخليل عليه السلام أباه إلى التوحيد بقوله (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا) اجابه بقوله (أراغب أنت عن الهتي يا ابراهيم ؟) عرف انه أراد ترك عبادة ماسوى الله والرغبة عن ذلك الى اخلاص العبادة لله وحده ، ثم قال الخليل عليه السلام (وأعتزلكم وما تدعون من دون

الله واعو ربي) فذكر مضمون لا إله إلا الله ولازمها، كما ذكر تعالى مثل ذلك عن أهل الكهف في قولهم (واذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله* فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقا) وقال تعالى عن صاحب ياسين (ياقوم اتبعوا المرسلين* اتبعوا من لا يسئلكم أجراً وهم مهتدون * ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون * أأتخذ من دونه الهة ان يردني الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون * اني اذاً لفي ضلال مبين)

وتأمل أيضاً قوله تعالى (انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون * ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) عرفوا وهم كفار أن مطلوب النبي ﷺ من قولهم لا إله إلا الله انه ترك عبادة الاوثان، فيا له من بيان ما أوضحه

والمقصود ان القرآن من أوله الى آخره يحقق معنى لا إله إلا الله بنفي الشرك وتوابعه ويقرر الاخلاص وشرائعه . لكن لما اشتدت غربة الدين بهجوم المفسدين، وقع الريب والشك بعد اليقين، وانتقض اكثر عرى الاسلام ، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه « انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشا في الاسلام من لا يعرف الجاهلية » ومما انتقض من عراه الحب في الله والبغض في الله والمعاداة والموالاة لله، كما في الحديث الصحيح « أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله » وانت ترى حال الكثير حبه لهواه وبغضه لهواه ، فلا يسكن الا إلى ما يلائم طبعه ويوافق هواه، ولوغره واغواه . فتأمل تجد هذا هو الواقع ، فلا حول ولا قوة إلا بالله

والحاصل ان كل قول وعمل صالح يحبه الله ويرضاه فهو من مدلول كلمة الاخلاص، فدلالتها على الدين كله اما مطابقة واما تضمنا واما التزاما، يقرر ذلك ان الله سماها كلمة التقوى ، والتقوى ان يتقى سخط الله وعقابه بترك الشرك والمعاصي وإخلاص العبادة لله واتباع أمره على ما شرعه ، وقد فسرها ابن مسعود

رضي الله عنه « ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وان تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله »

وقد اخرج الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن زيد عن النبي ﷺ قال « لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع مالا باس به حذرا مما به باس »

وقال شيخ الاسلام احمد بن عبد السلام بن تيمية رحمه الله تعالى في قوله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال ابو بكر الصديق: فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة، اي لم يلتفتوا بقلوبهم إلى ماسواه، لا بالحب ولا بالخوف ولا بالرجاء ولا بالتوكل عليه ، بل لا يحبون إلا الله ولا يحبون الا لله. اه

***

وقال شيخنا شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: سألني الشريف عما نقاتل عليه وما نكفر به ؟ فقلت في الجواب: انا لا نقاتل إلا على ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو الشهادتان بعد التعريف، اذا عرف ثم انكر، فنقول أعداؤنا معنا على أنواع :

الاول : من عرف ان التوحيد دين الله ورسوله وان هذه الاعتقادات في الحجر والشجر والبشر الذي هو دين غالب الناس اليوم انه الشرك الذي بعث الله رسوله بالنهي عنه وقتال أهله ليكون الدين كله لله ، ولم يلتفت إلى التوحيد ولا تعلمه ولا دخل فيه ولا ترك فيه الشرك ، فهذا كافر نقاتله لانه عرف دين الرسول فلم يتبعه ، وعرف دين المشركين فلم يتركه ، مع انه لم يبغض دين الرسول ولا من دخل فيه ، ولا يمدح الشرك ولا يزينه

النوع الثاني : من عرف ذلك ولكن تبين في سب دين الرسول مع ادعائه انه عامل به وتبين في مدح من عبد يوسف والاشقر وابي علي والخضر وفضلهم على من وحد الله وترك الشرك ـ فهذا أعظم كفراً من الاول وفيه قوله تعالى (فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به) الآية . وممن قال الله فيهم (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر) الآية

النوع الثالث : من عرف التوحيد وأحبه واتبعه وعرف الشرك وتركه، لكن يكره من دخل في التوحيد ويحب من بقي على الشرك، فهذا أيضاً كافر وفيه قوله تعالى (ذلك بانهم كرهوا ماأنزل الله فأحبط أعمالهم)

النوع الرابع : من سلم من هذا كله لكن أهل بلده يصرحون بعداوة التوحيد واتباع أهل الشرك ويسعون في قتالهم ، وعذره ان ترك وطنه يشق عليه فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده ويجاهد بماله ونفسه، فهذا أيضاً كافر لانهم لو أمروه بترك صيام رمضان ولا يمكنه ذلك إلا بفراق وطنه فعل، ولو أمروه ان يتزوج امرأة أبيه ولا يمكنه مخالفتهم إلا بذلك فعل. وأما موافقته على الجهاد معهم بماله ونفسه مع انهم يريدون قطع دين الله ورسوله ﷺ فأكبر مما ذكرنا بكثير ، فهذا أيضا كافر ممن قال الله فيهم (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم) الآية

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

فصل

وهذا شروع في الجواب المشار اليه سابقا، وقد كنت عزمت أن أتتبع كلامه وأجيب عنه تفصيلا ، ثم انه عرض لي مايجب ان يكون هو المقصود بالذات مما قدمته حماية لجانب التوحيد والشريعة ، ثم بدا لي أن اقتصر في جواب الرجل لما في الاقتصار من رعاية الصبر والاصطبار، لانا لو أجبناه بكل مايليق في الجواب لم نسلم من أمثاله ممن ينسج على منواله، كما هو الواقع من أكثر البشر قديما وحديثا مع كل من قام بالحق أو نطق بالصدق، فكل من كان أقوم في دين الله كان أذى الناس اليه أسرع والعداوة له أشد وأفظع ، وأفضل خلق الله رسله وقد عالجوا من الناس أشد الاذى، حكمة بالغة قال الله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيراً) والآيات والاحاديث في ذلك كثيرة جداً. ينبئك عن تفصيل هذا ماذكره الله تعالى في كتابه عن أنبيائه لما دعوا أممهم إلى التوحيد كيف قيل لهم وما خوطبوا به

وتأمل ماجرى لخيار هذه الامة كالخلفاء الراشدين وسادات أصحاب سيد المرسلين من اعدائهم كالرافضة والخوارج ونحوهم ، وما جرى لاعيان التابعين ومن بعدهم من أعيان الائمة كالامام احمد بن حنبل ومحمد بن نوح واحمد بن نصر الخزاعي وأمثال هؤلاء ممن لايمكن حصرهم ، ولو ذكرنا جنس ماجرى لهم من الاذى لطال الجواب. والقصد هو الاقتصار، ومن أراد الوقوف على ذلك فعليه بالسير والتاريخ . ولله در ابي تمام حيث يقول :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود

وقال ابو الطيب :

وشان صدقك عند الناس كذبهم وهل يطابق معوج بمعتدل

اذا علمت ذلك فان هذا الرجل ذكر عن الشيخ عبدالرحمن بن حسين انه لايصلي بهم ، ولايقدم من يهوونه، ولا يقطع خصومة، وعدوه من نظر في كتاب او نطق بصواب. هذا كلامه فيه. عد هذه الامور من المثالب. والبصير إذا تأمل رآها من المناقب ، لان المسلم لايجوز ان يحمل إلا على الخير فيما خفي عذره فيه حتى يتبين مايرفع الاحتمال . وهذه العيوب الخمسة محتملة لامور :

(الاول) منها يحتمل انه فعله تأثما من الصلاة بالناس لعذر خفي يوجب ذلك فان الاعذار عن الامامة كثيرة

(الثاني) يحتمل نصحه لهم فيختار لهم من يصلح لذلك المقام ، ونظره لهم خير من نظرهم لانفسهم

(والثالث) فيه التثبت في الفتيا بالنظر والتأمل والمراجعة في كتب الاحكام وهذا مطلوب من كل مفت لاسيما في هذا الوقت

(والرابع والخامس) فيه حماية جانب العلم عمن يجهل، ولايدري انه يجهل، والمطلوب سد ابواب الاختلاف في أحكام الدين ، فان الله ذمه في كتابه ، فاذا حمل مثله على غير ذلك اوقع في اغتياب المسلم ، وقد حرمه الله في كتابه، فان عده المغتاب له نصيحة فقد أحل ماحرمه الله ورسوله ، وهو أمر عظيم ، وفيه تشيين المسلم بما يحتمل ضد ذلك .

***

وأما تحذير هذا الرجل للامام من اولاد الشيخ كلهم وانه لايجوز له أن يصغى اليهم ولا يدين لهم جانبا

(فالجواب)نعم هذا رأيه للامام وهو الذي يحبه له ويرضاه لكن رأى المسلمين خصوصا من ينسب منهم إلى الدين ، والحب في الله والبغض فيه ، وكذلك العقلاء يخالفونه في ذلك ، وفي نصيحة المسلمين للامام الحث على طاعة اولئك

والاخذ منهم ، وقبول نصيحتهم ورأيهم كما هو الواقع من الامام ، فلا يخلو إما أن يكون الصواب مع هذا الرجل ، واما أن يكون مع أعيان المسلمين واهل الدين الذين لهم لسان صدق ومحبة في الناس والله يعلم المفسد من المصلح

***

وأما قوله ان ابن ثنيان يلقمهم الحرام

(فالجواب) ان يقال : وهل شاهدت ذلك وعرفت ان ماأعطاهم حرام بعينه او رأى ذلك من يوثق بخبره ، هذا امر لايقدر هو ولا غيره ان يثبت ذلك لكنه كما قيل :

يقولون اقوالا ولا يعلمونها وان قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

والذي يأخذون منه ومن غيره من الائمة هو مما أفاء الله على المسلمين المسمى بيت المال او من الزكاة ونحوها ، وهذا لايقول احد من العلماء انه حرام، والذي نص عليه الفقهاء من اهل الحديث وغيرهم انه يجوز الاخذ لمن يستحقه مالم يعلم انه حرام بعينه، ذكره ابن رجب عن الزهري ومكحول، قال: ورخص قوم من السلف في الاكل ممن يعلم في ماله حرام مالم يعلم انه حرام بعينه . قال : وروي في ذلك آثار كثيرة عن السلف ، وكان النبي ﷺ واصحابه يعاملون المشركين واهل الكتاب مع علمهم انهم لايجتنبون الحرام كله

قال : وروى الحارث عن علي رضي الله عنه انه قال ـ في جوائز السلطان: لابأس بها، مايعطيكم من الحلال أكثر مما يعطيكم من الحرام، وقال ابن مسعود : إنما الهناء لكم والوزر عليهم

وذكر في المغني ان الحسن البصري أخذ جائزة عمرو بن هبيرة وردها ابن سيرين فعتب الحسن عليه ذلك. ونقل عن الامام احمد انه قال : جوائز السلطان

أحب إلي من الصدقة. يعني ان الصدقة اوساخ الناس صين عنها آل رسول الله ﷺ ولم يصانوا عن جوائز السلطان

وذكر عنه أيضا انه احتج بان جماعة من الصحابة تنزهوا عن مال السلطان منهم حذيفة وابو عبيدة ومعاذ وابو هريرة وابن عمر ، قال ولم ير ابو عبد الله ذلك حراما ، فانه سئل فقيل له مال السلطان حرام؟ قال لا . وفي رواية قال : ليس أحد من المسلمين إلا وله في هذه الدراهم حق ، فكيف أقول سحت ؟

وقد كان الحسن والحسين وعبد الله ين جعفر وكثير من الصحابة يقبلون جوائز معاوية . قال: ولان جوائز السلطان لها وجه في الاباحة والتحليل فان لها جهات كثيرة من الفيء والصدقة وغيرهما اه

(قلت) وما زال العلماء في كل عصر يأخذون أرزاقهم من بيت المال ولم ينكر ذلك أحد من اهل الورع ولا غيرهم ويرونه حلالا . أما اولئك الظلمة الذين جاروا على أهل نجد بغياً وعدوانا فلا ريب أن ما أخذوه كله ظلم، لانهم انما جاءوا بالباطل والظلم والعدوان فلا يسوغ لهم أخذ شيء مما أباح الله لولاة أهل الاسلام أخذه من زكاة وفيء أو غير ذلك ،فما اخذه اولئك ظلم بحت ،

فلينظر في حال هذا الطاعن على اهل العلم وأمثاله ، فان كانوا قد كرهوا ما أخذه هؤلاء المسرفون المعتدون ولم يقبلوا شيئاً منه ولم يبق إلا انهم جهلوا حكم اموال الفيء فالمصيبة أهون . وأما إذا كانوا أخذوا من أولئك من تلك الاموال على الوجه الذي ذكرناه فالمصيبة أعظم ، وذلك انهم حرموا على علماء المسلمين أن يأخذوا ما حل لهم ، ويأخذونه من أولئك ويأكلونه حراما صرفاً من غير تأويل ، وعلى كل حال فانهم لما رأوا هؤلاء الاشياخ من أقرب الناس دعوة إلى التوحيد وإرشاداً الى طاعة ربهم واتباع نبيهم فتوصل شرار اهل نجد بمسبتهم الى مسبة

الدين لمخالفته أهواءهم ، ولا ريب أن هذا تحته كل عيب، ويستدل به العارف على انه انما صدر منهم عن شك في حقيقة الاسلام وريب

***

ثم إن هذا المعترض قال في سبابه لأهل العلم المشار اليهم سابقا : انهم نظروا إلى سد باب القبلة ومصر ولم ينظروا إلى أبواب السماء . يشير إلى انهم وسعوا للمتولي أمرهم في مداهنة تلك الجهات

(فالجواب) انه لا يخلو إما أن يكون هذا الرجل من أشد الناس غباوة وأجهلهم بأحوال الناس ، ولا معرفة له بالواقع أصلا ، وإما انه تعمد الكذب والتشيين لأولئك الائمة وهو يعرف انه قد كذب عليهم وافترى ، فان من المعلوم من طريقتهم ورأيهم ونصحهم انهم لا يجوزون المداهنة في الدين ، ولا يرضون ذلك من كبير ولا صغير ، ولهذا صار الاعداء يطعنون عليهم بذلك عند مبغضيهم ويقولون انهم يكفرونكم ، وحقيقة أمرهم انهم لا يكفرون أحدا الا بعمل صرح القرآن بتكفير فاعله ، ولا يقولون على شخص بعينه انه كافر ولا على جماعة انهم كفار الا اذا ارتكبوا أعمالا من المكفرات وثبت ذلك بطريق من طرق العلم إما مشاهدة أو سماعا او تواترا .

وقد تقدم عن شيخنا إمام الدعوة الاسلامية انه قال في جوابه للشريف إنا لانكفر الا بما اجمع العلماء عليه انه كفر

وعلى هذا فيقال لهذا الرجل: اذا كان هذا الذي تنسبه اليهم من مداهنة اهل القبلة ومصر عيبا يعاب به من فعله فأنت ممن داهنهم وأطاعهم وتابعهم وخدمهم ، فهلا عبت على نفسك هذا الذي اعترفت بأنه عيب كبير ؟ وما مثلك الا كما قيل في المثل « رمتني بدائها وانسلت »

فيقال لامام المسلمين ، أعزه الله بالدين ، تأمل ما ذكره الله في كتابه المبين ، واتبعه، فان هذا هو الواجب على كل أحد، لاسيما من ولاه الله امر الناس ، فان الله

افترض عليه أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فانه لا صلاح لهم بدون ذلك اصلا ، علما وعملا ، وعليه ان يصلح نفسه بما يرضي الله من إقامة دينه وأن لا يخاف في الله لومة لائم ، وان يحب في الله ويبغض فيه ويوالي لله ويعادي فيه ، وان يميز الناس بتمييز الله فان الله ميز اولياءه من اعدائه ، ولا شك أن هذا من فرائض التوحيد ، وليكن على حذر من الناس وأهوائهم فانهم لا يرضون إلا بمتابعة أهوائهم ، وقد قال تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * انهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين)

واعتبر بما جرى من أكثر الناس من أنواع الشرك والظلم والفساد كما قد جرى فيما مضى ، كما ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى حيث يقول :

ولقد رأينا من فريق يدعي الـ أسـلام شركا ظـاهر التبيان
جعـلوا له شركاء والوهم وسا ووهم به في الحب لا السـلطان
والله ما سـاووهمو بالله بل زادوا لهم حبـاً بلا كتمان

وهذا وأمثاله هو الواقع في هذه الازمنة يعرفه من تدبر القرآن وفهم أدلة التوحيد ، فلقد كثر هذا الشرك بنوعيه من دعوة غير الله والاستغاثة به وتعظيمه والحلف به ، حتى إن بعض الجهال يستنكفون من قول القائل : محمد عبد الله ورسوله فينـكرون قوله : عبد الله . ولا ريب أن الله تبارك وتعالى شرفه بعبوديتـه له الخاصة والرسالة

وأما أهل الاسلام على الحقيقة والايمان فيخلصون إرادتهم وأعمالهم لله تعالى وحده دون من سواه فلا يدعون ولا يرجون ولا يستغيثون ولا يتوكلون ولا يتقربون بنوع من أنواع العبادة الا الى ربهم ومليكهم وخالقهم والقائم عليهم والمتصرف فيهم بمشيئته وإرادته . ويعملون بما شرعه لهم في كتابه ، وسنه لهم نبيهم ﷺ من شريعته ، معتصمون

بحبل الله متعاونون على طاعة الله. فاعرف كلا من الفريقين بشواهد الاحوال والاعمال، واستشهد على كل من الفريقين بصريح القرآن وصحيح الاخبار، واستدع بكتب العلماء المحققين العدول الاخيار فان البهرج لا يميزه الا أولو البصائر والاستبصار. ومن لم يميز الناس بتمييز الله لهم عظمت مصيبته ودامت حسرته، فان الله — وله الحمد — اجرى العادة بمقتضى الحكمة البالغة ان يبتلي عباده بوقوع الفتن ليميز الصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق، بما يضمرونه ويظهرونه من ترك طاعته والعمل بمعصيته، ومن هو بخلاف ذلك (ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) قال الله تعالى (ألم * أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين — الى قوله — ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) — الى آخر السياق — وقال تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) وقال تعالى (أم حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون)

وقد بلا الله أخبار الناس بما جرى في هذه الاعوام وميز بها من قاتل أهل الاسلام وسبهم، ممن ولاهم وأحبهم، والله يعلم انا لم نرد بهذا تشيين أحد أو عداوته، ولكنا تأثمنا من كتمان العلم، ورغبنا في إرشاد العباد الى طاعة ربهم ومعبودهم، لما ابتلينا باناس من أهل نجد يقولون على الله بلا علم، ويتكلمون في أشياء من غير رواية ولا فهم، فكان الواجب على من منحه الله علما ان ينشر منه ما تيسر وقت الاحتياج اليه، وخصوصاً في هذه الازمنة لما قل العلم وكثر الجهل وغلبت الاهواء — اشتغل الناس فيه بمحبة دنياهم، وإيثارها على طاعة مولاهم والعمل لاخراهم

والله تعالى هو المرجو المسؤل ان يرفع عنا وعن المسلمين العقوبة وان يكتب لنا المثوبة بتحري رضاه ، وان يوفقنا للاستقامة على طاعته وتقواه ، وان يحقق لنا واخواننا ماطلبناه ورجوناه ، انه هو البر الرحيم . وحسبنا الله ونعم الوكيل

*
* *

واعلم أن هذا الرجل وأمثاله لما امتلأت قلوبهم بالعداوة والبغض وظهرت على صفحات وجوههم وفلتات ألسنتهم، وأتوا بكل بلية ورمية ـ كما تقدم ـ طمعوا فيما هو أعظم من ذلك، وأكبر ضرراً مما هنالك . فاوردوا على الجهال شبهات تحسيناً لما قد فعلوه ، وتزييناً لسبيلهم الذي سلكوه . والعارف إذا نظر اليها علم انهم قد أقروا على انفسهم وعلى الذين والوهم وآووهم بما قد لا يصرح به غيرهم فيهم ابتداء

فمن ذلك قول بعضهم : ان الله تعالى يقول (فلولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم) الآية .

يشير إلى انه معذور باقامته مع هؤلاء كما عذر من اقام من المؤمنين بمكة مع المشركين

فيقال له (أولا) ان هؤلاء الذين سماهم الله مؤمنين لم يظاهروا على المؤمنين مشركا ولا منافقاً ولا باغياً ولا ظالماً ولا سبوا مؤمناً ولا عادوه ، ومنهم من قيده اهله بمكة ومنعوه من الهجرة كأبي جندل بن سهيل . فانه خرج يوم الحديبية من مكة يرسف بقيوده، فلو ان أحداً منهم سب المسلمين او عابهم أو اعان عدوهم انتقض إسلامه بلا ريب ، لكن الله تعالى حفظهم من هذه الامور وعذرهم باستضعافهم وعجزهم . ولهذا ثبت في الصحيح وغيره ان رسول الله ﷺ كان يدعو لهم في الفريضة ، كما اخرج البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ كان إذا اراد ان يدعو على احد او يدعو لاحد قنت بعد الركوع ، وربما قال اذا قال « سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش

ابن ابي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين » وقوله والمستضعفين من المؤمنين هو من عطف العام على الخاص بلا ريب

ومن المحال أن يسميهم الله ورسوله مؤمنين وقد وقع منهم ماينافي الايمان قال الله تعالى (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم وأبناءهم او اخوانهم أو عشيرتهم) فعلم من هذه الآية ان أولئك المستضعفين من المؤمنين لما كانوا بمكة مع قريش أنهم لم يتخذوهم أولياء من دون المؤمنين ولم يطمعوا منهم بموادة ولا ركون، وحاشاهم من ذلك. فلهذا وصفهم الله بالايمان . وقد أخبر تعالى ان الايمان ينتفي بموالاة أعدائه كما قال تعالى (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ماتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون)

قال بعض المفسرين ـ في الآية الاولى ـ من الممتنع ان تجد قوما من المؤمنين يوادون من حاد الله ورسوله . ويقال أيضاً: ان الله تعالى بين حال الذين عذرهم عن الهجرة وميزهم بالوصف ممن لم يعذرهم فقال تعالى (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم) قال في شرح البخاري والسؤال للتوبيخ ، أي لم تركتم الجهاد والهجرة والنصرة؟ (قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً)

وروى البخاري في صحيحه عن عبد الرحمن بن الاسود قال « قطع على أهل المدينة بعث فاكتتبت فيه، فلقيني عكرمة فأخبرته فنهاني أشد النهي وقال : أخبرني ابن عباس ان أناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين يأتي السهم فيصيب أحدهم فيقتله او يضربه فيقتله ، فأنزل الله تعالى (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة) الآيتين

فتأمل كيف ترتب عليهم هذا الوعيد وأوجب لهم النار وقد ورد انهم كانوا مكرهين على تكثير سواد المشركين فقط، فكيف بمن كثر سوادهم بغير اكراه واعان وظاهر، وقال وفعل من غير استضعاف ولا اكراه؟ أترى بقي مع هذا شيء من الايمان والحالة هذه؟

ثم ان الله تعالى بين في هذه الآية من خرج من هذا الوعيد بأوصاف لاتخفى على البليد فقال (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا * فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا) فذكر انهم الذين لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلا وهم العاجزون عن الهجرة من كل وجه، وهؤلاء هم الذين دعا لهم رسول الله ﷺ في حديث ابي هريرة المتقدم، بخلاف من لم يعجز عن الهجرة، بل اختارهم ورغب اليهم وسكن اليهم ووافقهم وتأيد بهم واستنصر مثل عبد الله بن ابي سرح ومقيس بن صبابة الليثي وأمثالهما مما تزين له الباطل، كجبلة بن الايهم الغساني وأمثال هؤلاء كثيرون. نسأل الله الثبات على الاسلام والعفو والعافية في الدنيا والآخرة

والامر الثاني: استدلالهم على جواز الاقامة مع المشركين او تركهم الهجرة لان الصحابة هاجروا إلى الحبشة وفيها نصارى

فيقال (أولا) لايجوز عند من له أدنى معرفة ان يستدل على ترك الهجرة بان الصحابة هاجروا، وكيف يجوز في عقل من له ادنى مسكة من عقل ان يستدل لترك شيء بان ذلك الشيء الذي تركه قد فعله غيره

وقد عرفت ان الله سجل على من ترك الهجرة بالوعيد الشديد وبريء منه رسول الله ﷺ وأثنى على من هاجر، ووعدهم على الهجرة بخيري الدنيا والآخرة كما قال تعالى (والذين هاجروا في الله من بعد ماظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) وقال (فالذين هاجروا وأخرجوا من

ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب) واي جهل أعظم من جهل من يسوي بين حسنات المقربين الابرار، وسيئات العصاة الاشرار؟ (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا؟ لايستوون)

***

وهذا سياق قصة مهاجرة الحبشة . قال ابو نعيم في منتقاه من سيرة ابن هشام، قال ابن اسحاق : حدثنا محمد بن مسلم الزهري عن ابي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام عن ام سلمة زوج النبي ﷺ قالت « لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار ـ النجاشي ـ آمنا على ديننا وعبدنا الله ، لانؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه . فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين ، وان يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ، وكان من أعجب مايأتيه منها الادم، فجمعوا له ادما كثيراً ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبدالله بن ابي ربيعه وعمرو بن العاص وأمروهما بامرهم ، وقالوا لهما ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل ان تكلما النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه، ثم اسألاه أن يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم ـ قالت: فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار ـ إلى أن قالت ـ وكان الذي كلم جعفر بن ابي طالب وقال له: أيها الملك كنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الارحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوى الضعيف ، وكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات ،وأمرنا ان نعبد الله لانشرك

به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ـ قالت: فعدد عليه أمور الاسلام ـ فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ماجاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما احل لنا، فعدا علينا قومنا وعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الاوثان من عبادة الله، وان نستحل من الخبائث ماحرم الله علينا، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ان لانظلم عندك ايها الملك

قالت: فقال له النجاشي هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال جعفر نعم، فقال له النجاشي: اقرأه عليّ، فقرأ عليه صدراً من (كهيعص) قالت فبكى النجاشي حتى اخضل لحيته، وبكت اساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم، ثم قال النجاشي: ان هذا والله والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فلا والله لااسلمهم اليكم ولااكاد» ثم ساق القصه

قال ابن اسحاق وحدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت: لما مات النجاشي كان يتحدث: انه لايزال على قبره نور. انتهى

(قلت) وقد أنزل الله في النجاشي وأصحابه آيات في سورة المائدة من قوله (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى — إلى قوله — وانهم لا يستكبرون)[1]

وكل من له أدنى معرفة لايفهم من هذه القصة إلا انها حجة عظيمة على الهجرة الواجبة من وجوه لاتخفى على البليد، اللهم الا من ابتلى بسوء الفهم وفساد التصور وكابر العقل والشرع فلا حيلة فيه. ياربنا نسألك الثبات على الاسلام.

وأورد أيضاً حديث «انا بريء من مسلم بين أظهر المشركين، لاتراءى ناراهما» والحجة منه ان النبي ﷺ سماه مسلما فيفيدان اقامته بين أظهر المشركين لاتخرجه عن الاسلام

(١) الغاية التي ذكرها سهو فان الآيات الثلاث التي بعدها فيهم أيضاً

(فالجواب) أن براءة النبي ﷺ ممن جلس بين ظهرانيهم انما كان عقوبة له على مجرد الاقامة بين أظهرهم . وأما إيواؤهم ونقض العهد لهم ومظاهرتهم ومعاونتهم والاستبشار بنصرهم وموالاة وليهم ومعاداة عدوهم من أهل الاسلام ، فكل هذه الامور زائدة على مجرد الاقامة بين أظهرهم ، وكل عمل من هذه الاعمال قد توعد الله عليه بالعذاب والخلود فيه وسلب الايمان ، وحلول السخط به وغير ذلك مما هو مضمون الآيات المحكمات التي قد تقدمت ، وكل ذنب من هذه الذنوب له عقوبة تخصه ، وكلما ازداد منه زاد الله له في العقوبة ، فان لم يؤمن بتلك الآيات المحكمات ويعترف بصدور تلك الاعمال منه فما أشبه حاله بحال من قال الله فيهم (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون * أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون)

واعلم أن هؤلاء المشركين لا يرضون من هذا وأمثاله بمجرد الموالاة والنصرة دون عبادتهم وتسويتهم لهم بالله في التعظيم والاجلال والتودد اليهم . فمن ذلك الانحناء لهم والاشارة باليد إلى أشرف أعضاء السجود وهو الجبهة والانف ، وكل ذلك من خصائص الالهية ، وذلك أمر لا محيد لهم عنه ، كما قال تعالى عن أهل الكهف (فانهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذاً ابدا) ولهذا لم يجدوا من مفارقتهم بداً ، حتى ذهبوا إلى غار في رأس جبل خوفا من ذهاب دينهم فآثروا الله على كل ماسواه

قال شيخنا : في هذه القصة فيه اعتزال أهل الشرك واعتزال معبوداتهم وقوله (فأووا إلى الكهف) فيه شدة صلابتهم في دينهم حيث عزموا على ترك الرياسة الكبرى والنعمة العظيمة واستبدلوا بها كهفا في رأس جبل

(قلت) ومثل ذلك ماذكره الله عن سحرة فرعون لما استنارت قلوبهم

بالايمان قالوا لفرعون لعنه الله (لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ماأنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا)

واعلم ان حقيقة حال هؤلاء المشبهة ان الله تعالى أمر بقتال المشركين فقاتلوا معهم، وامرهم بالبعد عنهم فآووهم وقربوا منهم، وامر بمعاداتهم فوالوهم، وأمرهم ببغضهم فوادوهم ، وامرهم بان ينصروا اهل الاسلام فاستنصروا بالكفرة عليهم، ونهوا عن مداهنتهم فداهنوهم، ونهاهم عن كتمان ماأنزل الله من هذا وغيره فكتموه وشبهوا كما قال تعالى (ان الذين يكتمون ماأنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك مايأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم) وقال (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) الآية. فجمعوا بين الكتمان والرد على من بين ولم يكتم، والتشبيه والجدال بالباطل، فتركوا ماأوجب الله عليهم وارتكبوا ماحرم عليهم ، وهذا ظاهر جداً لايرتاب فيه من له ادنى معرفة بالناس وما وقع منهم فلا يأمنهم ويقربهم بعد هذه العظائم إلا من سفه نفسه

***

ولهم شبهة أخرى وهي ان أبابكر استأجر عبدالله بن اريقط في طريق الهجرة إلى المدينة وكان هاديا خريتا يدلهم على الطريق فاحسن رسول الله ﷺ صحبته فتكون صحبة العسكر واعانتهم على المسلمين ونصرتهم لا بأس بها

فيقال (أولا) قدذكرت في الشبهة التي قبل هذه ان رسول الله ﷺ قال « أنا بريء من مسلم بين اظهر المشركين » وهذا يناقض ما استدللت به هنا وحاشا رسول الله ﷺ أن يتبرأ من صاحب عمل وهو يفعله ، ومثل هذا قوله « من جامع المشرك اوساكنه فهو مثله » والآيات المحكمات صريحة في التحذير من موالاتهم ناطقة بالوعيد الشديد على موادتهم ونصرتهم

إذا عرف هذا فالفرق بين الدليل والمدعى ابعد مما بين المشرق والمغرب

وذلك ان ابن اريقط أعان رسول الله ﷺ على أبر البر بعد الاسلام ،وافرض الفرائض بعد الايمان ، وسعى لرسول الله ﷺ في مصالحه التي يتوصل بها إلى رضاء مولاه ، ومراغمة أعدائه . ولا ريب ان هذا لو صدر من ابن اريقط بنية لكان من افضل الاعمال، فاذا أسلم كتب له ذلك من افضل حسناته على حديث حكيم « أسلمت على ما أسلفت من خير » بخلاف من آوى المشركين ورضي بهم بدلا من المسلمين وأعانهم واستنصر بهم وفرح بنصرهم وظهورهم ، ودعا الناس إلى متابعتهم .

فالفرق بين الفعلين كالفرق بين فعل ابي طالب من النصرة والحياطة والحماية ، وفعل ابي جهل وعقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث، فلو أسلم ابو طالب لكان فعله من اعظم القربات ، وفعل ابي جهل وأمثاله من اعظم الكفر الموصل إلى الدركات في العذاب وحلول المثلات ، فأين من أعان الباطل وواد أهله ونصرهم وظاهرهم ممن أعان المسلمين وسعى في مصالحهم وراغم عدوهم ؟

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

فابن اريقط فعل خيراً جره إلى الاسلام كما جر سراقة بن مالك وقد فعل من النصيحة في حال كفره مايحمد به باطنا وظاهراً بخلاف من والى المشركين ونصح لهم فانه قد وقع في الوعيد والسخط والمقت وفساد الدين، ومفارقة المؤمنين، والله أعلم بما يؤول اليه حال أعيان اولئك الضلال، لكنه يخشى عليهم أن يصيبهم مثل ماقصه الله في شأن بلعام ، وكذلك اهل مسجد الضرار، وقد كانوا قبل ذلك في عداد الانصار . فيا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على الايمان

ولا ريب ان عدول هذا المستدل عن الآيات المحكمات وصحيح الاخبار ترك للمحكم واتباع للمتشابه وقد قال تعالى (فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون

ما تشابه منه ابتغاء الفتنة) الآية . وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعا « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سمى الله فاحذروهم »

وحاصل ماقدمنا من الجواب على ماأورده المشبه هنا يتضمن خمسة اوجه

(الاول) ان ابن أريقط أجير ومن شأن الاجير أن يخدم المستأجر لأنه ملك منافعه بعقد الاجارة ، والاجير تحت المستأجر

(الوجه الثاني) ان ذلك مستأجر في مصلحة دينية هي من أكبر مصالح الدين ، فاعانته للمسلم وقت الحاجة اليه لامحذور فيها لكونها مصلحة محض، فكيف يجوز أن يستدل بذلك على ماهو أعظم المفاسد في الدين من موالاة المشركين واعانتهم على باطلهم والصد عن سبيل الله ؟

شتان بين الحالتين فمن يرد جمعا فما الضدان يجتمعان

(الوجه الثالث) ان استئجار الكافر للمصلحة نظير استرقاق الكافر وذلك جائز بخلاف العكس، فانه لايجوز،لان الاسلام يعلو ولايعلى عليه . وهذا المشبه كأمثاله صاروا لأهل مصر[1] كالماليك في طاعتهم ، ومتابعتهم ، واعانتهم اختياراً منهم لااضطراراً

(الوجه الرابع) ان مافعله ابن اريقط لايعاب عليه عقلا ولا شرعا بل قد يثاب عليه في حال كفره في الدنيا ، وربما صار سببا لاسلامه لقربه من الاسلام باعانة أهله على طاعة ربهم ، بخلاف من أعان على معصية الله والصد عن سبيله ، فأين من كان مع أهل الحق ممن كان مع عدوهم ، وهل سمعت بتفاوت أعظم من هذا التفاوت ؟

والله مااجتمعا ولن يتلاقيا حتى تشيب مفارق الغربان

(١) المراد من أهل مصر الجنود الذين قاتلوا جماعة المؤلف وكانوا من شعوب مختلفة . وأصل الكلام في الذين ساعدوهم من أهل الحجاز وغيرهم

(الوجه الخامس) ان مافعله ابن اريقط يغيظ كفار قريش، واغاظة الكفار يحبها الله تعالى، بخلاف من يفعل معهم مايسرهم ويغيظ عدوهم من المؤمنين فأين هذا من هذا لو كانوا يعلمون؟

والبصير يعلم أن هذا التشبيه من هؤلاء على العوام صدٌّ لهم عن سبيل الله وانه من آثار عقوبة تلك الاعمال

اللهم انا نعوذ بك أن نفتن عن ديننا ، وأن نرد على أعقابنا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما

وهذا آخر ماتيسر جمعه والله أسئل ان ينعم بنفعه

أملاه وجمعه الفقير إلى الله تعالى عبده وعبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب

وكتبه الفقير إلى الله عبده علي بن عبد الله البواردي

وذلك في سنة ١٣٦١ من هجرته ﷺ

وكتبه من قلم كاتبه حرفا بحرف عبده الفقير اليه عبد الله بن ابراهيم الربيعي

وذلك في ٢٥ صفر سنة ١٣٤٦ وصلى الله على محمد

وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً

آمين